مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 03 / السنة: 2023 ص ص:165-179

التنوع العرقي والتنمية في دولة ما بعد الاستعمار، تجربة ماليزيا انموذجا.

Ethnic Diversity and Development in a Post-Colonial State, the Malaysian Experience as a Model.

بوقرة عبد المجيد

جامعة احمد درايعية، أدرار mad.bouguerra@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/06/03 تاريخ القبول: 2023 /09/05 تاريخ النشر: 2023 /09/30

ملخص: تحاول هذه المقالة تحليل العلاقة بين التنوع العرقي وكيف يمكن من خلال ادارته تحقيق التنمية في دولة ما بعد الاستعمار وان اهم ما يرهن نجاح المشاريع التنموية فيها يرتبط مباشرة بنظرتها الى التنوع العرقي خاصة في ادعائها في كونه تركة استعمارية، ففي حين نجد قبول التنوع كطريق ثالث لتحقيق التنمية في كثير من دول العالم، نجد كثير من دول ما بعد الاستعمار تتمركز حول العرق وتنظر الى الآخر العرقي نظرة كراهية وإقصاء، مما يؤدي الى التشكيك في مدى جدية وموضوعية البرامج التنموية فيها في عالم يشجع على التنوع، وإثباتا للعلاقة نحلل تجربة نعتقدها فريدة هي تجربة ماليزيا التي من خلال تحليلها يظهر الدور الحاسم للتنوع العرقي في تحقيق مستوى تنموي لائق في دولة تنتمي للفضاء ما بعد الاستعماري.

كلمات مفتاحية: التنوع العرقي؛ التنمية؛ دولة ما بعد الاستعمار.

Abstract: This article attempts to analyze the relationship between Ethnic diversity and how it is possible through managing it to achieve development in a post-colonial country, and the most important thing that depends on the success of development projects in it is directly related to its view of Ethnic diversity, especially in its claim that it is a colonial legacy, while we find acceptance of diversity as a path A third is to achieve development in many countries of the world. We find many post-colonial countries centered around race and look at the ethnic other with a view of hatred and exclusion, which leads to questioning the seriousness and objectivity of their development programs in a world that encourages diversity, and to prove the relationship we analyze an experience that we believe is unique. It is the experience of Malaysia, which through its analysis shows the decisive role of Ethnic diversity in achieving a decent level of development in a country belonging to the post-colonial space.

Keywords: Ethnic Diversity; Development; Postcolonial State.

مقدمة:

تشكل التنمية بالنسبة لدول ما بعد الاستعمار تحديا كبيرا، حيث لا تزال الانظمة فيها منذ نزع الاستعمار عنها وهي تحاول الخروج من وضع ورثته عن الاستعمار وزادته تجاربها التنموية الفاشلة غالبا سوءا مما جعلها تنتمي في التصنيف العالمي الى الدول الأقل نموا التي تعتبر في حكم المتخلفة، ورغم كل الجهود التي بذلت فيها للانتقال الى وضع افضل تتجه كثير من التحليلات الى ان جل المشاريع التنموية فيها لم تحقق طموح الشعوب، وان الكثير من تلك الدول لا تزال تراوح مكانها ان لم نقل ان اوضاعها ازدادت سوءا، ولتفسير هذا الواقع الصعب تعددت وجهات النظر وتراوحت بين التفاؤل في امكان تحقيق التنمية والتشاؤم والاعتقاد باستحالة تحقيقها.

هناك من يدعم الاعتقاد المتفائل وينظر في اهم المتغيرات التي ورثتها عن الاستعمار والتي صعب عليها التعامل معها وهي نفس المتغيرات التي سمحت للدول المتقدمة في تحقيق ما حققته من تطور منذ البداية حتى وان كان في البداية بصورة تختلف عما يظهر اليوم، وهذا المتغير هو متغير التنوع العرقي، وكيف ان التطور يرتبط بفرضية مفادها ان هناك علاقة بين التنوع بصورة عامة والعرقي بصورة خاصة، وبين التنمية والتطور، وان التعامل الإيجابي مع هذا المتغير هو ما سمح لجل المجتمعات ان تحقق الرقي الذي وصلت اليه، و سوف نلحظ هذا حتى في الدول ما بعد الاستعمار وان التعامل مع التنوع العرقي وحسن إدارته يحيل الدول اما الى نجاح مشروعها التنموي او الى فشله.

يعتبر التنوع العرقي سمة عالمية مشتركة بين كل دول العالم على اختلاف مستوى التقدم فيها إن تلك التي تعتبر متقدمة والتي غالبها كانت مستعمرة أو الاخرى والتي تعتبر أقل نموا والتي كانت في الغالب مستعمرة، ففي الاولى المتقدمة الغربية التي كانت مستعمِرة كان للعرق فيها دورا كبيرا اثناء نشأة هذه الدول كدول قومية نتيجة توسع مدينة عاصمة تعتبر مركزا على اطراف جغرافية قريبة سميت ميتروبولا أو بعيدة كانت مستعمرات، قد تتنوع الاعراق فيها وتتباين بصورة بسيطة أو معقدة، وواكب تطورها في جميع المراحل وكان لقوة المركز دورا كبيرا غطى على التنوع العرقي فيها من خلال قوة المؤسسات المدنية أو العسكرية نومن خلال الاستفادة من تجارب تعامل هذه الدول مع اعراق مستعمراتها، ورغم كل ذلك لا يزال هذا التنوع العرقي يشكل تحديا

لكثير من دول اوروبا الغربية حتى يومنا هذا مثل قضية اقليم الباسك في اسبانيا والكورسك في فرنسا ... والتي تغطي عنها في الغالب الممارسة الديمقراطية والقدرة على ادارة التنوع العرقي.

لقد كان لظهور الاستعمارية الحديثة اثر كبير في تبلور فكرة التفوق العرقي لديها كمرحلة ثانية، ومن ثم بدأ التمركز حول العرق الابيض، وتولدت من خلال ظاهرة الاستعمار كثير من الافكار التي تتخذ من العرق مركزية لها خاصة في تعريف الاستعمار للآخر، والذي بني على مبدأ التفوق العرقي أين جرى كثير من النقاش الذي كان بداية عنصريا بنظرة العصر الحالي بني على البيولوجيا ثم هذب مع الوقت خاصة بعد ظهور موجات التحرر، وتحول لتفوق مبني على الثقافة وبقيت مع ذلك فكرة المركزية الغربية المؤثر الاساسي في تبلور العالم المعاصر حتى في عصر المابعديات (ما بعد الحداثة، ما بعد الرأسمالية، ما بعد الاستعمار...).

كان للسياسة استعمارية في ظهور التنوع العرقي في كثير من الدول ما بعد الاستعمار دور كبير في تشكله لتحقيق مصالح الدول الاستعمارية بشكل كبير، وان كان البعض يعتبرها من ضمن المخططات الاستعمارية التي تستهدف الاعراق الاصلية اذ كان مبني على التهجير وإعادة التوطين في الغالب بإقحام لأعراق في بيئة بعيدة عن اصلها تتميز بثقافة متباينة عن الثقافة المستقبلة مما طرح كثيرا من التحديات المرتبطة بالاستعمار في الدول الوطنية بعد نزع الاستعمار بداية من النظم السياسية الموروثة مرورا باللغة، والدين، والهوية، والحدود الجغرافية، وبؤر الاقليات العرقية، والنخب الحاكمة وعلاقاتها، والتبعية، الانظمة الهجينة والمستعارة.

يعتبر التنوع العرقي تركة استعمارية معقدة وتحد كبير أمام الدولة ما بعد الاستعمار والتي تحول هذا التنوع فيها الى عائق امام تحقيق التنمية فيها حيث تفاوتت النظم فيها في تعاملها مع هذا التنوع وتراوح بين التمركز العرقي وإقصاء الاعراق الاخرى، وأدى هذا في احيان الى نتائج خطيرة تتفاوت بين التهجير القصري والصراعات العرقية ووصولا الى التطهير العرقي، ولعل جل دول ما بعد الاستعمار كان للتمركز العرقي دورا في الواقع الذي بلغته يمكن ذكر هنا ذكر كثير من الازمات التي حدثت مثل ما حدث في دول البلقان ورواندا وتنزانيا ...وأزمات اخرى لا تزال الى يومنا مثل الروهينغا وإثيوبيا ودارفور ...كل الدول ما بعد الاستعمار لا تزال تعاني من اثر يتعلق بالتعامل مع التنوع العرقي حتى وان كانت تظهر مستقرة فالاستقرار في كثير من الاحيان ليس

مرادفا للنجاح في تحقيق التنمية، والعكس قد يكون صحيحا حيث يمكن ان نفرض ان تحقيق جودة التعامل مع التنوع الثقافي هو الهدف الذي على الدول ان تستهدفه لأنه المرادف الحقيق للاستقرار وتحقيق التنمية بالضرورة وهذا ما ادركته جل دول العالم وتسعى بطرق عديدة لتحقيقه.

رغم أن دولا قليلة تلك التي عانت من الاستعمار نجحت في التعامل مع التنوع العرقي الناتج عن الاستعمار وكان لهذا النجاح انعكاسات كبيرة على التنمية فيها، إلا أن عدد الدول التي ادركت هذا الامر يزداد يوما بعد آخر، وتتخذ في سبيل ذلك طرقا تتعدى ادارة التنوع فيها لصالح توسيع هذا التنوع باعتماد التجنيس واستهداف الكفاءات وترغيبها في الإقامة مثلما تفعل تلك الدول من العالم المتقدم الامارات مثلا، غير ان تركيزنا سوف ينصب على ماليزيا كنموذج نعتبرها فريد في التعامل مع التنوع العرقي وان الوضع فيها يرتبط بقدرتها على استيعاب ضرورة التنوع العرقي كأساس لتحقيق التنمية رغم اعتباره في البداية كانت نتاج اسباب فرضت عليها يعتبر مخالفا لفكر ساد ولا يزال في فلسفة كثير من الدول ما بعد الاستعمار التي تتمركز على العرق لدرجة رفض فكرة التنوع العرقي .

إن تجربة ماليزيا هي التي سوف نركز على تحليلها لأنها تعتبر تجربة فريدة من نوعها، وهي غنية من حيث تطور المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع التنوع العرقي من اجل تحقيق التنمية، واستغلاله بطريقة توازن بين مصلحة العرق الاصلي واستغلال التنوع لتحقيق متطلبات التنمية والتطور، من اجل ذلك انتقلت تجربتها دون تعصب من التمركز العرقي الايجابي الى التمركز العرقي السلبي بعد تشخيص عميق لصفات الذات لعرق الاصلي وتوفير اهم الشروط لتحقيق الحراك للالتحاق بالأعراق الاخرى ببرامج للتمييز الايجابي، وإعادة النظر في تعريف الأخر وتوفير الشروط الملائمة للارتقاء لتحقيق العدالة وتضييق مستوى التفاوت بين مختلف الاعراق والارتقاء بالفكر الجمعي من اجل مواطنة في ظل التعدد العرقي والثقافي، لذلك نعتقد ان مثل هذه التجربة في الجانب الذي تم تناولها تعتبر نموذج تنموي يمكن الاحتذاء به كوسيلة لتحقيق التنمية؛ من اجل ما سبق سوف نتبع الخطة التالية:

المحور الاول: مدخل مفاهيمي

سبق وان ذكرنا بان التجربة الماليزية غنية من حيث المفاهيم المتعلقة بموضوع التنوع العرقي وطرق التعامل معه وكذلك تلك المتعلقة بمتغير التنمية في بيئة عانت من ظاهرة الاستعمار وتأثيراتها، ولذلك سوف نتعرض لتعريف العديد من المفاهيم المتعلق بالدراسة وهي العرقية وما يرتبط بها من مفاهيم كالتنوع والتمركز والتعدد ودولة ما بعد الاستعمار من خلال التعرض الى اهم قضايا نظرية ما بعد الاستعمار والتنمية وارتباطه بالعرق والتي نسوقها كالتالي:

العرقية Ethnicity :"يستقى العرقي والعرقية من الكلمة الإغريقية (**ethnos**) بمعنى امة او قوم، وكان اشتقاق منها في اللاتينية من المفاهيم التي نالت حظ كبير من الدراسات في عصرنا حيث تراوحت الدراسات بين الاستعلائية لدرجة العنصرية والاستعمارية حيث كان العرق " اداة ضارة في ايدي الافراد ذوي السلطة لاستبقاء وضع عنصري راهن والاستفادة منه " (**جونز، 2019، صفحة 15**) وبين اعتبارها تنوعا ثقافيا لدرجة اعتبارها ضرورة تنموية وطريقا ثالثا لتحقيق التنمية وهو المفهوم الذي سيتم اعتماده في هذا البحث حيث نعتبر ان العرقية "هوية مكتسبة يتم تشاركها مع الاخرين على اساس الاعتقاد بأصل مشترك ويمكن ربطها بموطن الاصل او اللغة او الدين او العرف" (**سكوت، 2019، صفحة 274**)

لقد تعددت الدراسات حول مفهوم العرقية غير انها اتفقت على أنه " قد يكون من العبث تكريس هذا القدر من الطاقة والجهد للبرهنة على ان لا شيء في الوضع الحاضر للعلم، يسمح بتأكيد التفوق او الدونية الثقافية لعرق من الاعراق بالنسبة الى عرق اخر...التجمعات الاثنية الكبيرة اسهمت بحد ذاتها مساهمات خاصة في التراث العام " (**شتراوس، صفحة 05**) ويقودنا الحديث عن مفهوم العرقية الى التطرق الى المفاهيم المركبة الاخرى المتعلقة بالعرقية والتي نسوقها كالتالي:

التنوع العرقي Ethnic Diversity: يعتبر التنوع العرقي سمة معاصرة حيث نجده في كل المجتمعات، "فقد أدت عمليات الهجرة والاستعمار والحروب والعولمة الى انتشار سكان الارض وانتقالهم من أوطانهم عبر الحدود للاستقرار في مناطق جديدة" (**جيدنز، 2005، صفحة 85**)،وهنا لا بد من الاشارة الى ان التنوع العرقي في العصر الحديث صار واقعا لا يمكن انكاره والتفاوت

بين المجتمعات واصبح التحكم وادارة هذا التنوع هو الاساس الذي يمكن من خلال تفسيره تصنيف المجتمعات بين متقدمة ومتخلفة، وقياس درجة الاستقرار فيها حيث يلاحظ ان تلك التي لم تستطع استيعاب فكرة التنوع كضرورة اليوم تعيش كثير من الازمات وعدم الاستقرار في جميع المجالات .

المركزية العرقية Ethnocentrisme :هي افتراضات تطورت مع الزمن حيث كانت في البداية مرتبطة بالاستعمارية لحد كبير تنطلق من تفوق لعرق على الاعراق الاخرى حيث "يقصد بهذا المصطلح الجديد، الذي وضعه ويليام سمنر في العام 1906، موقف من يعتبرون أنه ينبغي تفضيل طريقتهم الخاصة في الوجود وفي التصرف أو في التفكير على كل الطرق الاخرى " (**فيريول، 2011، صفحة 84**)، ولعل هذا الاعتقاد قاد الى كثير من الازمات على مستويات عديدة اذ يعبر على تضخيم الذات ورفض للأخر من خلال نظرة استعلائية تتعلق بفكرة النقاء والتفوق وعلى اساس هذه الافكار اسس للاستعمارية والعنصرية والتطهير العرقي وكثير من الازمات التي لا تزال حتى يومنا الراهن ولكن مع الوقت توسعت هذه هذه الفرضية لتنتقل الى الدول ما بعد الاستعمار وتنبثق عنها فكرة تمركز ايجابي تقترب الى ما سبق الحديث عنه والى تمركز سلبي اين ينظر يتم نقد الذات العرقية واعتبارها ذات ناقصة في حاجة الى تنمية وتطوير هذا من خلال سياسة التمييز الايجابي مثل ما حدث في ماليزيا.

التعدد العرقي Multiethnicity : التعدد العرقي هي مرحلة تصل اليها المجتمعات بعد ادراكها لمفهوم المواطنة، والتي ينصهر فيها الافراد في النسق السياسي بعيدا عن كل اشكال التمييز سواء الايجابي منه أو السلبي حيث يسهل على مختلف الاعراق ان تتوالى المسؤوليات السياسية بصورة سلسة بعيدا على سلطة المركزية العرقية وهنا يمكن المقارنة بين سنغافورة حيث نجد رئيسة الدولة مسلمة، وهذا ربما في ماليزيا صعب المنال حيث لا يمكننا ان نجد رئيس للوزراء من خارج عرق الملايو، ومن ثم لا بد ان نفرق بين التنوع العرقي والتعدد العرقي.

التمييز الايجابي Positive Discrimination: " يشمل السياسات والممارسات التي تميز بعض الجماعات التي تعرضت تاريخيا للاضطهاد (**مارشال، 2000، صفحة 477**)"حيث تعترف المؤسسات اولا بوجود فروقات بين مختلف مكوناتها العرقية والتي تكون في الغالب اقتصادية نتجت

عن ظروف تاريخية تتعلق بالاستعمارية او العنصرية، والتي تستدعي تدخلا وفق برامج تهدف تضييق تلك الفروقات دون المساس بأسس العدالة الاجتماعية.

دولة ما بعد الاستعمار postcolonial state : هي تلك الانظمة التي نشأت بعد الاستعمار والتي تفترض حول نشأتها انه "ورغم النصر النهائي لنزع الاستعمار ...فمن الواضح ان الاستعمارية لم تختف وظلت تلازم الحاضر ليس لأن الهويات والأدوار التي أوجدت للاحتفاظ بها ما زالت حية فقط بل اكتسبت حياة وقوة جديدتين، لأسباب لا تخلو من صلة بالسلطة الاوروبية المتواصلة" (**موريس، 2010، صفحة 574**)، فادوارد سعيد وهو احد منظري نظرية ما بعد الاستعمار يعتقد "ان الشرق شبه اختراع غربي" (**سعيد، 2006، صفحة 42**) والتحرر هو فكرة استقاها المستعمَر من احتكاكه ونيله العلم الغربي، ومن ثم فالإشكال في ما بعد الاستعمارية لا يتعلق بالمؤسسات فقط بل يتعداه الى الجوانب الثقافية، وهو ما عبرت سبيفاك في كتابها هل يستطيع التابع أن يتكلم؟ لذلك فلا بد من التفكير بجدية في مدى امكانية دولة ما بعد الاستعمار أن تنجز خارج ما يتوقعه الغرب. وتتعلق دولة ما بعد الاستعمار بنظرية ما بعد الاستعمار والتي يمكن ان نسوق بعضا من تعريفاتها (**روبنسون، 2005، صفحة 28**):

- دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استقلالها: أي كيف استجابت لإرث الكولونيالية الثقافي، أو تكيفت معه، أو قاومته، أو تغلبت عليه خلال الاستقلال.
- دراسة جميع الثقافات/المجتمعات/البلدان/الأمم من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من الثقافات/المجتمعات/البلدان/الأمم، أي الكيفية التي اخضعت بها الثقافات الفاتحة المستعمرة الثقافات المفتوحة المستعمرة لمشيئتها، والكيفية التي استجابت بها الثقافات المفتوحة المستعمرة لذلك القسر، أو تكيفت معه، أو قاومته، أو تغلبت عليه.

لعله من الضرورة التطرق الى اهم المفاهيم التي طرحتها والتي لها علاقة من حيث انها معيقات تقف حائلا دون تحقيق هذه الدول لمشروع تنموي، وتتمثل اهم مواضيع نظرية ما بعد الاستعمار في الآتي:

الغيرية Alterity: لقد قام هذا المفهوم كبديل لمفهوم الآخرية وكتطور له، حيث قامت الدولة الإستعمارية في توسعها بداية على "خلق ما يسمى بالآخرين الذين يستطيع الفرنسيون (المستعمرون) أن يشعروا بالتفوق عليهم " (**اتش.روبنز، 2008، صفحة 208**)حيث في هذه المرحلة "صرف الإنتباه الى الجانب المخيف في علاقتنا مع الغير، تلك العلاقة التي تقترن بالاستجابات العنصرية والمرتهبة من الأجانب" (**موريس، 2010، صفحة 42**) ومع الوقت وانهيار الاستعمار القديم تبنى العلماء الغيرية كبديل لمفهوم الآخر " لتسجيل التغير الذي طرأ على الإدراك الغربي للعلاقة بين الوعي والعالم " (**تيفين، 2010، صفحة 59**) ومن ثم تبدلت كثير من العلاقات على المستوى الكلي حيث تحولت النظرة في الغرب بشكل جعل من الغيرية بدل الأخرية وسيلة للتنمية والتجدد عكس ما كان في الماضي.

لئن كانت نشأة مفهوم الغيرية في الغرب نتيجة لتطور مفهوم الآخرية، فإنه في دولة ما بعد الإستعمار قد اتخذ منحى آخر حيث النظرة اخذت في الانحصار لصالح التمركز حول الأنا الاثني في كثير من الأحيان، في ظل خطاب الزعماء الوطنين بعد نزع الاستعمار حيث تعيش الدولة الوطنية وضعا اشد تعقيدا من وضع الدولة القومية في الغرب في بداياتها مما طرح اشكالات صعبة وقفت حاجزا امام انبثاق اي مشروع تنموي .

الاستعارة Metaphor :"تعد الاستعارة بصورة عامة نوعا من المجاز يشار فيه الى الشيء باستعمال لفظ أو مصطلح يصف –حرفيا – شيئا آخر" (**سيدجويك، 2014، صفحة 55**)، يحيلنا هذا الى البحث في حقيقة ما نشأ في دولة ما بعد الاستعمار من معاني وفي تحمل الواقع لمعيين معنى حقيقي ومعنى استعاري، والذي نتج بفعل التفاوت والاختلاف بين الأنا والآخر من نواحي كثيرة ونتيجة الفعل الممارس على الآخر المستعمَر، وقد " ترتب على هذه المواقف الفكرية نتائج وفيرة العدد وعميقة المعنى وهي لا تقتصر فقط على ذلك الغموض أو الضبابية التي تغشى أشكال التمييز بين الحقيقة والايدولوجيا، أو بين العلم والخرافة، أو بين الصورة الزائفة للحياة والحياة المفترض أنها حقيقة" (**سيدجويك، 2014، صفحة 58**)وهي الصورة التي لا تزال تميز دولة ما بعد الاستعمار التي تعيش في ظل كثير من الاستعارات، حيث يمكن ان نعتقد انه لا يوجد في هذه الاخيرة من العالم المعاصر إلا المسميات والتي هي في النهاية مجرد استعارات.

الهجنة: Hybridity: ترتبط بدرجة كبيرة بمفهوم الاستعارة و"يشير عادة الى خلق اشكال ثقافية جديدة داخل نطاق الاحتكاك الذي يخلقه الاستعمار " (**تيفين، 2010، صفحة 199**) والتهجين مفهوم يعبر اليوم عن نموذج ثالث بين نموذجين على أنه "الاساليب التي بها تصبح الاشكال منفصلة عن ممارسات قائمة ن وتعود للاتحاد مع اشكال أخرى في ممارسات جديدة. كترياق للتفاضلية الثقافية للعقائد العرقية والقومية، لأنه يأخذ كنقطة انطلاق له تحديدا تلك الخبرات التي نفيت وهمشت ومنعت في التفاضلية الثقافية..." (**بيترس، 2015، صفحة 82**).

التنمية Development: من المفهومات التي يصعب الاتفاق حول تعريفها حيث نجد لها تعريفات تختلف مع تطور الزمن ففي" بداية القرن العشرين ذاع استعمال جديد للكلمة (التنمية)، فقد اصبحت التنمية الحضرية ...وفي العقد الثالث من القرن اكتسب الارتباط بين التنمية والنزعة الاستعمارية ...تنمية المستعمرات ورفاهها " (**ساكس، 2008، صفحة 25**) وفي تضخم مفاهيمي كبير تطور المفهوم مرتبطا مع الاحداث التاريخية فنجد في ستينات القرن العشرين "كان الدمج كلمة السر التي تربط الجانب الاجتماعي بالجانب الاقتصادي ...فقد كانت التنمية الاجتماعية ينظر اليها من ناحية على انها شرط مسبق للنمو الاقتصادي ومن ناحية أخرى على أنها مبرر أخلاقي له وللتضحيات التي يوحي بها" (**ساكس، 2008، صفحة 31**)، ومن هنا اختلفت النظرة وتعدت الجوانب الاقتصادية ليصبح الجانب الاجتماعي المتعلق بالمجتمعات الاساس الذي تقوم عليه التنمية.

المحور الثاني: التمركز حول العرق السياسي قبل الاقتصادي.

ما كان لماليزيا اليوم ان تكون مثلما تصورها الزعماء من العرق الملايو لو لم يتفكك الاتحاد الملايو فرغم تسويق الاستعمار لفكرة الاتحاد الملايو الا ان " ما كان يدور في ذهن تنكو عبد الرحمان(اول رئيس وزراء ماليزي بعد الاستقلال) كان امرا مختلفا، فهو لم يكن يفكر في اتحاد منطقتين، بل كان يفكر في تحالف اي ترتيب بين دولتين منفصلتين " (**كوان، 2007، صفحة 228**) هناك التهديد الديمغرافي للأعراق التي نتجت عن التغييرات الديموغرافية التي انتهجها الاستعمار البريطانيه من خلال جلب اعراق اخرى من الصينيين والهنود لأرض اعتبرت للعرق المالايو لذلك لم يكن يريد سنغافورة كولاية في الملايو لأنها سوف تقلب التوازن العرقي في الملايو" فلقد شجع البريطانيون الصينيين على الهجرة والانتقال إلى سنغافورة ليوفروا القاعدة الاقتصادية

والقوة العاملة للتجارة وللأنشطة التجارية البريطانية وبحلول سنة 1963 شكل الصينيون ثلاثة ارباع عدد سكان سنغافورة البالغ 3.5 مليون نسمة لكن سنغافورة كانت جزءا من الولايات الملايوية " (**محمد، 2014، صفحة 58**)وهذا يحتم ضرورة التخلي عن فكرة الاتحاد مع سنغافورة ذات الاغلبية الصينية والتي يرجح الاتحاد معها كفة الديموغرافيا لصالح العرق الصيني مما يهدد وجود دولة ماليزيا كدولة ذات أغلبية ملايوية.

لقد كانت بداية صعبة لزعماء عرق الملايو غداة نزع الاستعمار والإجابة عن سؤال يتعلق بكيف يمكن للأصل ان يحافظ على وجوده في ظل تغيير عرقي صحب الاستعمار لدرجة يمكن ان تؤثر على هوية هذا الكيان المتحرر حديثا ولعل الاجابة تعلقت بدرجة كبيرة بالأصل الاجتماعي لأغلب الزعماء الذين كانوا من طبقة البرجوازية والتي كان لها حظ كبير من التعليم حيث عاشوا التنوع العرقي في الميتروبول –عاصمة الدولة المستعمِرة– وهذا ما جعل مشكلتهم في التمركز حول العرق الملايو لا يتجاوز البحث في كيفية حفاظ الملايو على الاغلبية دون استبعاد الاعراق الاخرى اهم هدف اذا هو الحفاظ على الاغلبية.

لقد تحقق الهدف الديمغرافي المنشود من طرف هؤلاء الزعماء وواقع الحال يبن هذا الامر، حيث نجد الاحصاءات تشير إلى حفاظ العرق الملايو على الاغلبية (**ياسين، 2021، صفحة 32**)، وهذا ما أدى بهم الى أن تكون السلطة في يدهم غير ان مشاكل العرق الملايو تتعدى الجانب السياسي الذي حق لهذا العرق البحث عن كيفية السيطرة عليه الى الجوانب الاخرى حيث لوحظ فيما بعد قدر التفاوت الموجود بين الاعراق، وكيف أن نسبة كبيرة من الملايو لم تتحسن احوالهم، ولا يزالون يعانون من الفقر عكس الاعراق الاخرى خاصة الصينيين والهنود الذين يسيطرون على الاقتصاد الحديث في جانبيه الصناعي والتجاري والخدمات والذين اعتبروا اساس نهضة ماليزيا لذلك فالزعماء الأوائل كانوا على حق في الحفاظ على التنوع ربما دون قصد تنموي حتى وان تمركزوا على العرق الملايو في الجوانب السياسية للحفاظ على دولة ذات اغلبية للعرق الملايوي.

المحور الثالث: معرفة الذات كمحدد للتعامل مع الاخر من التمركز العرقي الى التمييز الايجابي.

من خلال كتابه معضلة الملايو شخص محمد مهاتير المشكلة التنموية بموضوعية وبعيدا عن العاطفة لذلك قام بعكس اتجاه التمركز العرقي من الايجاب إلى السلب في الجانب الاقتصادي على الاقل، حيث يعتقد ان الظروف التي مر بها العرق الملايو تجعل من الصعوبة بمكان الاعتماد عليه لتحقيق تنمية بأسس العصر الذي ننتمي اليه على اعتبار ان اغلبهم من اصول ريفية ومن الصعوبة بمكان التحول بهم بسهولة لمشاريع صناعية وخدماتية وتجارية، ومن ثم لا بد من الاستفادة من التراكم الذي تملكه الاعراق الاخرى ..يسوق هذه الفكرة في مذكراته حيث يقول : "هناك فوارق دقيقة في الديمقراطيات المتعددة الأعراق لا يمكن لدول المتجانسة إثنيا تخيلها ...ففي ماليزيا ينظر الى الصينيين على العموم بأنهم يحبون جمع المال، وإلى الهنود بأنهم ثملون عنيفون، ويقال إن الملايويين، وهم العرق الذي يشكل الأغلبية كسالى ويفتقرون إلى المقدرة الفكرية" (**محمد، 2014، صفحة 44**) لقد نبع هذا التشخيص من ملاحظة دقيقة لواقع المالايو مع الاعراق الاخرى، وكيف أن هذه الاخيرة سيطرت على الاقتصاد ليس الا لنوع التراكم والثقافة المرجعية الموروثة جيلا عن جيل ثم يضيف كيف أن هذه الصور النمطية التي تشكلت في الواقع يجب على المؤسسات ان تغيرها وان يثبت العكس خاصة فيما تعلق بالأغلبية الملايوية.

لقد عبر مهاتير عن هذا الواقع بكونه معضلة ؟ لكن، كيف يمكن الخروج بعرق الملايو من هذه المعضلة؟ ربما الاجابة اخبرنا بها في مذكراته التي يقول فيها:" شرحت في كتابي المعضلة الملاوية فلسفتي السياسية الخاصة بالملايويين، ولاحظت منذ أن كنت حدثا أن الملايويين لا يزاولون المهن التجارية ...كان أكثر تجار التجزئة صينيين...قلقت من عدم انخراط الملايويين في التجارة" (**محمد، 2014، صفحة 44**)، المعضلة كيف أن للسكان الاصليين لا يتحكمون إلا في جزء بسيط من الاقتصاد ؟وكيف احتمالهم البقاء في الفقر؟ وكيف يمكن الخروج من هذا الواقع وتحقيق العدالة بين الاعراق ؟ تلك العدالة التي اعتقد مهاتير في انها تتعلق بدور يقع على عاتق المؤسسات، والتي يجب عليها الاخذ بيد أبناء عرق الملايو من خلال برامج التمييز الايجابي بالمقارنة مع الأعراق الأخرى من الصينيين والهنود، وهذا يكون بتوفير التعليم والخدمات الاجتماعية بصورة مجانية، وتقديم الدعم بصورة عادلة بين مختلف الاعراق.

كانت التجربة الماليزية في التعامل مع الاعراق في هذه المرحلة تحاول الموازنة بين متغيرات عديدة، متغير تحقيق التنمية الذي يرتكز على استغلال التنوع العرقي وجعله مقبولا من خلال

توضيح ان التفاوت الاقتصادي بين الاعراق ليس وليد اللحظة، وإنما هو نتيجة حتمية لتراكم نابع من التقسيم الافقي للعمل والذي لابد من معالجته بطرق مؤسساتية من خلال برامج التمييز الايجابي وبذلك يتحقق الحراك الاجتماعي الذي يرجوه عرق الملايو دون المساس بحقوق الاعراق الاخرى.

المحور الثالث: التنوع العرقي ضرورة تنموية

قليلة هي تلك الدول ما بعد الاستعمار التي استطاعت ان توظف التنوع العرقي في سبيل تحقيق التنمية، وتنظر إليه نظرة ايجابية وتنقله من النظرة المبنية على الآخرية الى الغيرية مثلما يحدث في الدول المتقدمة بعيدا عن التمركز السلبي حول الإثنية حيث صار مقبولا اليوم ان نجد الساسة والقادة من إثنيات يعود اصلها الى المجتمعات التي كانت مستعمرة وخير مثال اليوم هو ان نجد رئيسا للوزراء بريطانيا من اصول هندية هندوسي الديانة، وماليزيا احدى هذه الدول حيث آمنت مع الوقت بضرورة هذا التنوع من أجل تحقيق التنمية، اذ تطورت نظرة النخبة الوطنية الى مكونات الدولة الناشئة مع الوقت من نظرة الاختلاف الى نظرة التنوع، ولعل هذا ما يستدعي منا النظر وتحليل كيف أنه تمت الاستفادة من التنوع العرقي في تحقيق التنمية بالنظر الى امكانات كل اثنية بعيدا عن التمركز العرقي والذي كان بداية نشأة الدولة الماليزية بعد نزع الاستعمار .

لقد حققت ماليزيا من خلال مشروعها التنموي الفريد نتائج مبهرة تستدعي كثيرا من التحليل بالنظر الى التحديات الوجودية التي واجهتها، والتي استطاعت ان تتجاوزها حيث استطاعت ان تحول جموع الملايويين ذوي الاصول الريفية الذين يعيشون في فقر مدقع والذين يوصفون نمطيا في كونهم كسالى، الى جموع من العمال الذي يتقنون الاعمال على اختلافها ويستطيعون الحراك افقيا وعموديا، بالاعتماد على التمييز الإيجابي الذي وفرته لهم الدولة وانتقلوا من خلاله الى صورة جديدة تختلف عن تلك الصورة المرسومة عنهم.

صحيح ان هذه النتائج مبهرة لكن هل هي كافية ؟ وهل يمكن ان تتحقق بدون التنوع العرقي؟ الذي كان الى حد كبير العامل الحاسم في نجاح المشروع التنموي فرغم أن المؤسسات استطاعت من خلال مشروعها التنموي ان تحول جموع الفلاحين الى طبقة عمالية وسطى تعيش في ظروف افضل مما كانت عليه، غير انها لم تستطع ان تنافس لحد كبير تلك الطبقة من التجار

الذي ينتمون الى الاعراق الاخرى والذين لا يزالون رغم كل الجهود يسيطرون على الاقتصاد وان المؤسسات التي تعتمد على التمييز الايجابي في تعليم الملايوين الذين ينتهي مجهودها في تحولهم الى اليد العاملة المؤهلة للأعراق الأخرى في الغالب.

ان تحليلا بسيطا لقائمة ملياردیرات ماليزيا الخمسين الأوائل (**HO، 2023**) يذكرنا بالصورة النمطية التي تشكل حول سمات الاعراق المكونة لماليزيا ما بعد الاستعمار والتي سبق ذكرها حيث كان اغلب التجار من العرقي الصيني، فالقائمة تكاد تكون مشكلة من افراد ينتمون للعرق الصيني ولا نكاد نجد فيها الا اسمين من العرق الملايوي وهذا ما يجعل تصورنا حول حل المعضلة الملايوية ارتبط الى حد كبير ولا يزال مرتبط بالتنوع العرقي وان المشروع التنموي المعتمد على التمييز الايجابي استطاع ان يصنع من العرق الملايوي طبقة عمالية تحسنت ظروفها لكن دون ان تحقق الحراك الاجتماعي الذي يحلها الى ان تتحول الى البرجوازية التي هي اساس الرأسمالية بالمفهوم الحديث.

خاتمة:

ينظر في عالم اليوم الى التنوع العرقي كأساس وضرورة تنموية، ويتم التشجيع على التنوع في كل العالم بحثا عن الثقافات الجديدة التي هي اساس النمو والتغيير وكل جديد، ونجاح التنمية هو نجاح لإدارة التنوع العرقي وإحداثه بما يتلاءم مع حاجات التنمية، وأن فشل المشاريع التنموية في دول ما بعد الاستعمار يرتبط بعجزها عن التعامل مع الآخر وكيفية تعريفه بالشكل الصحيح، وهي لم تحسن التعامل مع واتخذت من التمركز الإثني كأساس للتأسيس وتنظيم الدولة مما أدى الى كثير من الازمات التي تعاني منها الى حد اليوم.

التجربة الماليزية من التجارب الهادفة والرائدة والتي يجب التركيز عليها بعيدا عن الايديولوجية، وان العامل الحسم في نجاحها يرتبط بالأساس بقدرتها على ادارة التنوع العرقي فيها واستغلاله في صالح العرق الأصلي الذي ما كان له ليحدث التنمية دون وجود الاعراق الاخرى التي تملك رصيدا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا تراكميا يمكنها من خلاله خلق الثروة افضل من العرق الأصلي، وهو ما يجب التركيز عليه اليوم في أي مشروع تنموي.

المراجع

ادوارد سعيد. (2006). *الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق*. القاهرة، مصر: رؤية.

آلان إتش جودمان ويولاندا موزس وجونز إل جونز. (2019). *الأعراق البشرية هل نحن حقا على هذا القدر من الإختلاف*. (شيماء طه الريدي، هبة عبد المولى أحمد، المترجمون) المملكة المتحدة: هنداوي.

الكساسبة بلال ياسين. (2021). *أثر التنمية على التحول الديمقراطي في ماليزيا وسنغافورة*. عمان: شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

المؤلف . (2017).

انتوني جيدنز. (2005). *علم الإجتماع*. (فايز الصياغ، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

اندرو ادجار، وبيتر سيدجويك. (2014). *موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية*. (هناء الجوهري، محمد الجوهري، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

بيل اشكروفت، جاريت جرفيت، وهلين تيفين. (2010). *دراسات ما بعد الكولونيالية.المفاهيم الرئيسية*. (احمد الروبي ايمن حلمي، عاطف عثمان، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

جان ندرفين بيترس. (2015). *العولمة والثقافة*. (خالد كسروى طلعت الشايب، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

جوردون مارشال. (2000). *موسوعة علم الاجتماع* (المجلد الاول). (محمد الجوهري وآخرون، المترجمون) القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

جون سكوت. (2019). *علم الإجتماع:المفاهيم الأساسية*. (محمد عثمان، المترجمون) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

جيل فيريول. (2011). *معجم مصطلحات علم الاجتماع*. (أنسام محمد الأسعد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار مكتبة الهلال.

دوجلاس روبنسون. (2005). *الترجمة والامبراطورية*. (ثائر ديب، المترجمون) القاهرة، مصر: المجلس الاعلى للثقافة.

ريتشارد اتش.روبنز. (2008). *المشاكل العالمية وثقافة الراسمالية*. (فؤاد السروجي، المترجمون) بيروت، لبنان: الاهلية للنشر والتوزيع.

طوني بينيت–لورانس غروسبيرغ–ميغان موريس. (2010). *مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع*. (سعيد الغانمي، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

فوللفجانج ساكس. (2008). *قاموس التنمية*. (أحمد محمود، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

كلود ليفي شتراوس. (بلا تاريخ). *العرق والتاريخ*. (د.سليم حداد، المترجمون) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

مهاتير محمد. (2014). *طبيب في رئاسة الوزراء مذكرات الدكتور مهاتير محمد*. (امين الايوبي، المترجمون) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

يو، لي كوان. (2007). *قصة سنغافورة*. (هشام الدجاني، المترجمون) الرياض، المملكة العربية السعودية: العبيكان للنشر.

NAAZNEEN KARMALI.AND JANE HO .(MAY, 2023 31). *Malasysia's50 Richest*. تم الاسترداد من forbes.com: https://www.forbes.com/lists/malaysia-billionaires/?sh=73934eaf4c24